Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣ ـ ٥)

ولعلنا نلمس فى التراث النقدى البلاغى عند العرب، ما يشير ـ بصيغة أو بأخرى ـ إلى دور هذه الأشكال الصوتية فى إحداث السبك، نلمس هذا ـ أولا ـ فى المصطلحات التى اتخذتها هذه الأشكال، فمنها ـ حتى من حيث الدلالة اللغوية ـ ما يعطى معنى التكرار أو الترديد، كما فى: السجع، الترديد، لزوم ما لا يلزم. ومنها ما يعطى معنى الاتساق والانسجام، كما فى: التجانس، والتفويف. ومنها ما يعطى معنى التكافؤ والتساوى، كما فى الترصيع، والتشطير، والتجزئة، والتوازى، والموازنة.

ونلمس هذا ـ ثانياً ـ عند بعض النقاد والبلاغيين العرب، فابن سنان أورد فنون: السجع والازدواج، ولزوم ما يلزم، والتصريع، والترصيع، والجناس، أوردها على أنها تحقق (التناسب من طريق الصيغة)(١٣٦) كما جاء عند حازم فى إطار مبحث (التلاؤم) ما عرف بجناس الاشتقاق والسجع والازدواج يقول حازم: «والتلاؤم يقع فى الكلام على أنحاء، منها... ومنها أن تتناسب بعض صفاتها، مثل أن يكون إحداهما مشتقة من الأخرى مع تغيير المعنى من جهة أو جهات، أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها، ومنها أن تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم أو تتوازن مقاطعها، ومنها أن تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم، اليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها»(١٣٧) كما عد حازم الأنواع السابقة من قبيل جودة رصف الألفاظ إذ إنها تحقق فى الكلام (التآخى). قال حازم: «فمن حسن الوضع اللفظى أن يؤاخى فى الكلام بين كلم تتماثل فى مواد لفظها، أو فى صيغها أو فى مقاطعها، فتحسن بذلك ديباجة الكلام. وربما دل بذلك فى بعض المواضع أول الكلام على آخره(١٣٨). كما أنه حين حدد قوانين أربعة لما يجب أن تكون عليه الفصول وترتيبها، كان القانون الأول منها:«فى استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها»(١٣٩)، وجاء فى هذا القانون قوله: «فيجب أن تكون (أى الفصول) **متناسبة المسموعات والمفهومات**، حسنة الاطراد غير متخاذلة، غير متميز بعضها عن بعض الذى يجعل كل بيت، كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية، يتنزل بها منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر»(١٤٠) ففى هذا القانون اندرجت ـ ضمن ما اندرج ـ الأشكال الصوتية، والتى عبر عنها بقوله (متناسبة المسموعات). ويعقد ابن أبى الإصبع بابا للمناسبة، وجعلها على ضربين: مناسبة معنوية، مناسبة لفظية. وفى الأخيرة يقول: «وأما **المناسبة اللفظية** فهى توخى الإتيان بكلمات متزنات، وهى على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة، وأخرى ليست بمقفاة، فالتقفية غير لازمة للمناسبة. ومن شواهد المناسبة التى ليست بتامة فى الكتاب العزيز،